مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٢/٢٠١١ هـ.ق، العدد ١٨ (٣) ٦٣-٨٠

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

دراسة «المَنعىَ أو النعي» في المرثاة الإسلامية

سيد حيدر شيرازي[١]

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/١٠/١٧ تاريخ القبول: ١٤٣١/٨/٧

إنّ «المَنعىَ أو النعي» – أي إظهار خبر الموت – من الصور(العناصر) المهمّة في فنّ الرثاء خاصة أنّ له دور مميّز في الوحي المنزل وفي أدب الشعر. وبما أنّ المنعى لم يكن موضع دراسة مستقلّة لدى النقّاد، فإننا سنقدم للنعي تعريفاً اصطلاحيّاً جديداً ليكون إطاره أوضح وأكثر تمييزاً في فنّ الرثاء من بين سائر العناصر(الندبة: بيان الحزن وبكاء الميت بتوجع، والتأبين: الإشادة بمناقب الميت، والتعزية: طلب الصبر والتسلي لصاحب الميت). كذلك أوردنا بحثاً آخر في تحديد الفارق بين النعي في الرثاء الساخر والهجاء لما فيهما من الوجوه المشتركة في المضمون. كذلك قسّمنا النعي – في دراسة موضوعية للقرآن الكريم – إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة وهي: النعي المشنّع، و النعي المشيد، و النعي المحايد و ضربنا لكل منها امثلته من القرآن الكريم و أشرنا فيها إلى بعض الإيجابيات الأخلاقية و التربوية. و وزّعنا النعي – في دراسة أخرى للأدب الشعري الإسلامي – إلى ضربين هما: نعي النفس ونعي الغير؛ وفي كلّ منهما ناقشنا الموضوع فيمن ينعى نفسه أو غيره إنباءاً عن الغيب بسنين، وهذا دأب عباد الله الصالحين، و فيمن لا ينعى نفسه أو غيره في رثائه إلاّ بإشرافه على موته وظهور ملامحه كدأب معظم الشعراء في رثاء أنفسهم، و تمثّلنا فيها بما أنشده شعراء هادفون و ملتزمون.

الكلمات الرئيسية: النعي، الرثاء، الأدب، الميّت، الشعر العربي

[١]. الاستاذ المساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

المقدمة

قالوا في تعريف الرثاء أنّه :« فن يعبر به الشاعر عن عواطفه ومشاعره نحو الميّت أو الذي يشعر بالموت وينتظره فيبكيه ويعدد مناقبه ويتأمّل في الحياة والممات.» (ابو ملحم، ١٩٧٠م، ص٨٢). والرثاء تصوير للموت وفناء الأشياء و ينطوي فيه النوح والبكاء والندبة والعزاء والتأبين وفيه الحب والأسى والحزن والحرقة. و قد قسّموا الرثاء إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة: الندبة والتأبين والتعزية.

درس القدماء فن الرثاء في الشعر كالمبرد(٢١٠ — ٢٨٦هـ.ق) فقد ألّف كتاباً مستقلاً سمّاه « التعازي والمراثي» تطرق فيه لموضوع التعزية[1] وما يقابلها من الجزع لكنّه لم يقدم لهما تعريفاً علمياً واكتفى بذكر نماذج ومصاديق شعرية معظمها في التعزية. وقصارى ما نبّه إليه في تعريف التعزية أنّه قال: «أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يعر أحد من مصيبة بحميم، ذلك قضاء الله على خلقه. فكل تكلم إما متعزّياً وإما معزّياً، وإمّا متصبراً محتسباً»، (المبرد، ص١) و يبدو أنّه اعتبر التعزية كالمرثية أو كاحدى دلالاتها لا كصورة(عنصر) تتفرع عن المرثية. وهكذا قدامة بن جعفر(٢٦٠ — ٣٣٧هـ.ق) في كتابه «نقد الشعر»تحت عنوان «نعت المراثي» والذي ذكر فيه الفارق بين المرثية والمديحة بقوله:«ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في مثل كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك ... ». (قدامة بن جعفر،١٣٠٢ق، ص٣٣) كما أنّه ذهب في موضع آخر إلى أنّه « لا فصل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى ... ». (قدامة بن جعفر،١٣٠٢ق، ص٤٣) لكن بالنسبة إلى تعيين صور(عناصر) أخرى للرثاء فإنّه مسكوت عنها ولم يُذكر فيه شيء. وهكذا فيما أورده ابن عبد ربه(٢٤٦ — ٣٢٨هـ.ق) في كتابه«العقد الفريد» تحت عنوان «كتاب الدرة في التعازي والمراثي» فإنّ ما تحدّث عنه لم يتجاوز عدة روايات في الجزع أو البكاء أو التعزية، من دون أيّ تفصيل أو تعريف لغويّ أو علمي(اصطلاحي) لتلك الصور(العناصر). وعندما نأتي إلى كتاب آخر في النقد نحو«العمدة» لابن رشيق(٣٩٠ – ٤٦٣هـ.ق)، فله في باب الرثاء ذكرٌ للفوارق بين الرثاء والمدح و عني بتعريف الرثاء اجمالاً، فمثلا عندما يتناول ابن رشيق موضوع الرثاء وينبّه فيه إلى عنصر البكاء ، فإلى جانب ما يتعلق به كأن يكون المرثيّ ملكاً أو رئيساً كبيراً، يعرّف الرثاء على سبيل العموم من دون تحديد (صور)عناصر له قائلاً:«وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجّع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهّف والأسف والإستعظام، إن كان الميّت ملكاً أو رئيساً كبيراً.» (ابن رشيق القيرواني، ١٤٠١ق، ج٢: ١١٧) كما قال النابغة(المتوفّى نحو١٨هـ.ق) في حصن بن حذيفة بن بدر:

يقولون: حصن، ثمّ تأبى نفوسهم
وكيف بحصن؟ والجبالُ جمُوحُ
ولم تلفظ الموتى القبورُ، ولم تزل
نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ
فعَمَا قليلٌ، ثمّ جاشَ نعيُّهُ
فباتَ نديّ القومِ وهو ينوحُ
(النابغة الذبياني، ١٤١٦ق، ص٤٦)

التفجع واستعظام المصيبة من ظواهر هذا الشعر وممّا يدل على ذلك أنّ الناس يتحدثون عن حصن و قلوبهم ملأى بالحزن والأسى فلا يقدرون على التفوّه بموته لعظم الخطب ووقعه المؤلم في صدورهم وأمّا طريقة استعظام موته فهي ظاهرة في الإعجاب بموت حصن في أنّه كيف يموت حصن والجبال لا تزال راسية راسخة والموتى مستقرّون في قبورهم والسماء بنجومها وأعمدتها ثابتة غير متغيّرة. حتّى أنّه يعتبر النعي مبكراً له.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

كما يبدو من سياق الشعر وفحواه أنّه مصطبغ باحدى العناصر الأساسية للمرثاة وهي عنصر النعي لما فيه من تعظيم المصيبة والإغتمام بها والإخبار عنها حسب ما قدّمنا له من التعريف للمنعى في هذه الدراسة. وأخيراً فيه إشارة مختصرة إلى النياحة. لكن ابن رشيق شأنه شأن بقية النقّاد اكتفى بذكر الرثاء من غير أن يعتبر له صور(عناصر) تتفرّع عنها.

أمّا الأدباء المعاصرون فقد اقتصروا في تقسيم الرثاء على صور(عناصر) ثلاثة فحسب ولم يزيدوا عليها صورة(عنصراً) جديدة ليناقشوا مظاهرها، فمثلاً تناول شوقي ضيف في كتابه«الرثاء»موضوع المرثية و جعل لها ثلاث صور رئيسية من الندب والتأبين والعزاء حيث شاعت تلك الصور في الرثاء الجاهلي واستمرت في الأدب العربي في عصوره المختلفة.[٢]واعتبر شوقي «النواح والبكاء على الميت» (شوقي ضيف، ص١٢) ضمن الندب وأضاف التأبين كصورة أخرى من مضامين المرثية في« إشادة الميت ومناقبه» (شوقي ضيف، ص٥٤) ثمّ أتى بالصورة الثالثة وهي العزاء وجعل «استعماله في الصبر على كارثة الموت.» (شوقي ضيف ، ص٨٦) كذا في كتاب«في الأدب وفنونه» بعد أن يعرف الكاتب فنّ الرثاء بأنّه:« فن يعبر به الشاعر عن عاطفته نحو ميت فيبكيه ويعدد مزاياه ويتأمّل في الحياة والموت» (ابو ملحم، ١٩٧٠م، ص٨٢) يذكر أنواعه من الندب[٣] والتأبين والعزاء ولم نجد في هذا التقسيم أيضاً ذكراً عن النعي ولم يُفرَد له دورٌ يميّزه عن تلك الصور(العناصر) .

وعلى النمط نفسه وجدنا ما سارت عليه المؤلفات المعاصرة الأخرى التي كانت بمتناول أيدينا، والذي يجدر ذكره هنا أنّ النعي لمحّ إليه البعض ضمن «الألفاظ التي تستعمل بمعنى الرثاء وهي: أبن وندب ونعى» (محمد علي الخطيب، ص٢٤) إلى أن قال في كلمة«نعى» وعلاقتها بـ«رثى»: «ومن ألفاظ الرثاء نعى وهي تتردّد كثيراً في الشعر.» (محمد علي الخطيب، ص٢٨) إنّه في الواقع درس المعاني اللغويّة لهذه الألفاظ وبحث فيها عن صلتها بالمعاني المجازية التي تنتهي بالتالي إلى التعريف الإصطلاحي الجديد للرثاء، لكنّه لم يتناول موضوع النعي في معناه الإصطلاحي كدراسة مستقلّة تنمّ عن صورة مجزّأة من صور الرثاء ليناقش مظاهرها ومصاديقها الشعرية. وعلى هذا قمنا في هذا المقال بدراسة جزئية أكثر للمنعى لنقدّم له تعريفاً يبين دوره أو مكانته فيما بين هذه الصور(العناصر) الثلاث لما وجدنا له من الجدارة لبحثه وعرضه. وهناك صور(عناصر) أخرى – بالإضافة إلى الندبة والتأبين والعزاء – لفن الرثاء قمنا بفصلها عن هذا البحث إلى جانب المنعى، مثل الجزع، والنياحة، و المأتم والدعاء والحداد فأفردنا لكل منها تعريفاً لغويّاً واصطلاحيّاً في دراسة مستقلّة لم نتعرض إليها لكونها خارجة عن هذا البحث.

النعي لغةً واصطلاحاً

كانت العرب إذا قتل منهم شريف أَو مات بعثوا راكباً إلى قبائلهم يَنْعاه إليهم ... قال الجوهري(المتوفّى٣٩٣هـ.ق): «كانت العرب إذا مات منهم ميت له قَدْرٌ ركب راكب فرساً و جعل يسير في الناس و يقول: نَعَاءِ فلاناً أَي انْعَه و أَظْهِرْ خبر وفاته.»(الفراهيدي، ١٤١٤ق، ج١٥: ٣٣٣) و قال أَبو زيد: النَّعِيُّ الرَّجل الميِّت، و النَّعْيُ الفِعْل و أَوقع ابن مُحْكان النَّعْيَ على الناقة العَقير فقال:

زَيَّافةٍ بنْتِ زَيَّافٍ مُذَكَّرةٍ

لَمَّا نَعَوْها لِراعي سَرْحِنا انْتَحَبا

(المصدر نفسه)

واصطلاحاً هو الإخبار عن أجل عاجل أو آجل، وإدلاء بما يبثه المتوفّىَ حين موته من الهموم والخواطر في نفسه وبما يوصي من الوصايا لذوي قرباه، وبيان لتمنّيه الموت وتوقّعه

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

قبل موافاته، وفيه إشاعة بذكر الموت و وصف حالته ومراحله كما في الإحتضار وذكرٌ الظروف التي يُتوفّى فيها الميّت بالإضافة إلى كشف الحقيقة عمّن قتله و كيف يكون تكفينه وتشييعه وتدفينه. ومن مصاديقه تعظيم المصيبة والإشارة إلى غيابه ومكانه الموحش.[٤]

أهمّية النعي ومكانة الناعي

من خلال ما بلغنا عن بعض المراثي يظهر لنا أن النعي من العناصر المهمة فِي الرثاء، لا يتقنه إلا من كان شاعراً و له علم ومعرفة وخبرة في كيفيّة الإخبار عن الكوارث وجلل مصائب الناس، خاصّة الإعلان عن موت الأحبّاء، وكيف لا ؟ وهو – أي النعي- مطارحة حديث هامّ يندهش منه المخاطب أو المصاب ويؤثّر في نفسيّته سلباً وإيجاباً فلا بدّ من إعداده نفسيّاً وعاطفيّاً ليستفرغ بعض نفثات صدره ويستنفد منه بعض همومه بتشجيعه على البكاء وتمهيده للصبر والصمود ويهدّيء من روعه بمواساته ومداراته . وأحياناً إذا عظم الخطب وجلّت المصيبة يقوم الناعي بتمهيد النفوس لإقامة المآتم والندبة والنياح، وللجهر بالظلامات[٥] حسب الظروف السياسية والإعلامية السائدة، و يتبين ذلك أكثر عندما فوّض الإمام السجاد(ع)نعي حسين بن علي(ع)إلى بشير بعد واقعة عاشوراء في الحديث التالي حيث يترائى فيه نعي عاطفي سياسي ممتزج بالندبة، نعي مسبل للدموع ومقرح للقلوب. قال بشير بن حذلم: لما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين وحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر فقال(ع): ادخل المدينة وانع أبا عبد الله(ع)، قال بشير: فركبت فرسي حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها

قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج

والرأس منه على القناة يُدار

وقلت: هذا علي بن الحسين مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ، فخرج الناس يهرعون ... ».(المقرّم، ١٤١٤ق، ص٣٧٤) والظاهر من الحديث أنّه قد اصطُفِي بشير عمّن سواه ناعياً لمكنته وخبرته وإحاطة علمه ومعرفته بآل بيت رسول الله(ع) وإلمامه بتراث أبيه في فنون الشعر وإلاّ لما كان فيه من الضرورة أن يمتاز عن غيره ويعهد إليه بهذه المهمّة الرسالية.

النعي بين الرثاء الساخر والهجاء

مما يجدر ذكره هنا بأنّ الرثاء بما يغلب عليه من الرقّة والبكاء وتأثر القلب فإذا كان يشتمل على الإخبار والتشنيع من دون التباسهما برقّة وبكاء وانتأى عن أقلّ مستلزمات الرثاء من إظهار الحزن والأسى ودخل أجواء تعييرية وتشنيعيّة فحسب فإنّه ملحوظ من هذه الجهة المعينة في فنّ آخر من الأدب وهو الهجاء كما في سورة الفيل حيث نعى الله عزّوجلّ أصحاب الفيل بوصف عذابهم وهلاكهم: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصحْابِ الْفِيلِ. أَ لَمْ يجَعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيهْمْ طَيرْاً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ »(الفيل/١-٥) وقد يعتبر هذا الضرب من النعي رثاءاً ساخراً لما فيه من ذكر الموت وكيفية هلاك المتوفّى وأسبابه ولما امتزج فيه الموضوع بالتعيير والكبت والتبكيت المدقع، ومثله منعى قوم ماتوا على الكفر بداعية التعيير في قوله الكريم:«إن الذين كفَروا وماتوا وهم كفارٌ أُولئك عليهم لعنة اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين.» (البقرة/١٦١) وعلى هذا النمط وردت مناعٍ مسترسلة كثيرة

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

في الأدب المنثور أو المنظوم. نحوما قاله المتنبي (٣٠٣ – ٣٥٤هـ.ق) في موت ابن كيلغ :

قالوا لنا مات اسحاق فقلتُ لهم

هذا الدواء الذي يشفي من الحُمُقِ

إن مات مات بلا فقد ولا أسفٍ

أوعاش عاش بلا خَلقٍ ولا خُلُقِ

فسائلوا قاتليه كيف مات لهم

موتاً من الطرب أم موتاً من الفَرَقِ

(المتنبي، شرح البرقوقي، ١٤٠٧ق، ٩٨/٣)

وثمّة نعيٌ يخلو من خصائص الرثاء و الهجاء حيث يصعب تمييز كل منهما. والناعي يسترسله وفقاً لوعيه السياسي المستهدف ونظراً لظروف مجمتعه التي يعيش فيها نحو ما وجّه علي بن أبي طالب(ع) من كلام رمزيّ إلى الناس في وفاة عمر بن الخطاب في خطبته المشهورة الشقشقيّة حيث نرى فيها رثاءاً فارغاً من عناصره لمصالح سياسية فلا تلقى فيه تأبيناً ولاندبة ولاعزاءاً كما لا تجد فيه إعلاناً عن حدادٍ ولا جزعاً ولا نياحاً وإنّما هو نعي منتوف ممّا ينمّق الرثاء ومعطوف بكل المقوّمات السياسية. وقوله(ع): « ...حتى مضى الأول لسبيله وأدلى به إلى فلان بعده....»(الإمام علي، شرح عبده، ج١: ١٣)

النعي في أدب السماء

إنّ الله تعالى رثى ونعى سلسلة أجيال بشرية منذ أول ظلامة تاريخية وقعت على إبن آدم هابيل، إلى ذكر مصائب جلية منصبة على القادة و المصلحين من الأنبياء والرسل وعلى الرواد والمسلمين من الرجال والنساء والأطفال المجني عليهم طي القرون الغابرة المتتالية. ورثى الله قوم فرعون المستضعفين وناقة صالح وغيرهم كما ذكر أصحاب الأخدود، فمثلاً في سورة البروج ابتدأت القصة بمقدمة توثيقية لحادثة مفجعة أراد الله سبحانه أن يبيّنها ويرثي أصحابها عبرة للأجيال القادمة فاستهلت بالأقسام الأربعة « وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ * وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ»(البروج/١-٣) والكلمات المقسم عليها لها صلة بالموضوع من حيث حبكة القصة وبيان جلل المصيبة والتحذير للظالمين والتمهيد للنعي المشجي ...وأما جواب القسم فهو يبتديء بالإخبار عن قتلهم الشنيع في قوله تعالى:« قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ »(البروج/٤) و عنصر النعي من اساليب الرثاء الأصلية لِاستهلال رثاء كارثة بشرية مبكية، نظير قول الراثي « قتل الحسين عطشاناً» أو عنصر الدّعاء على الكفار بهلاكهم واللعن عليهم كما أن توصيفهم بالأخدود بيان لكيفية القتل التي جرت على المؤمنين، فتواصل السورة تصوير مسرح الحدث إستثارة للعواطف وتهييجها بوصف الأخدود« النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ»(البروج/٥)، ففيه إيحاء بالتهاب النار في الأخدود كلّه، كأن لم يبق أخدود إلا الوقود فيصف شدّة سُعرة النار التي أُجّجت لإحراقهم ، وهو ترسيم لبشاعة الجناية وفظاعتها... ثم يتابع القرآن الكريم « إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ»(البروج/٦) وهو بيان للقطة أخرى من مسرح عمليات الحادِثة التي أوقعها الظالمون على المؤمنين من إرعابهم وتهديدهم بإجلاسهم على شفير الأخدود المتأجج أولاً لأجل ممارسة الضغط عليهم ، ثم تتابع السورة« وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ»(البروج/٦) وهذا بيان يجسّد فوران الشفقة الإلهية على الظُلامة والتلهّف على ما يُفعل بالمؤمنين وكيف لا و الرثاء من دعائمه الرقّة والإشفاق والحزن..ثم تتلو السورة «وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ* الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»(البروج/٨-٩) لتبيّن براءة المؤمنين والتركيز على شدة الظلامة عليهم ويمدح صلابة المؤمنين وصمودهم وعلوّ

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

مبدئهم في الإيمان بالله العزيز الحميد، ثم يبدأ الله تعالى بتهديد الظالمين والتنديدبهم من موقع المالك للسموات والأرض والشاهد المراقب لكلّ الأمور ، ثم يقول تعالى :« إِنَّ الَّذينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَريقِ»(البروج/٩).وهكذا إلى آخر السورة، حيث يبدأ بعد ذلك بتأبينهم على وجه التعزية والمواساة...والبرائة من قاتليهم وأعدائهم... وهو بذلك يربّي المسلمين والمؤمنين عبر هذه المناعي القيّمة؛ يربّيهم على الصمود والجهاد في سبيل الله وعلى التضامن مع المظلومين والنفرة والتنديد بالظالمين.

ورد النعي في أدب السماء في مراتب ثلاثة وفقاً لشأن المخاطب فيما إذا كانت مرتبته دنيّة أوكانت له مكانة رفيعة أو بين ذلك. ففي المرتبة الأولى(النعي المشنّع): يراد بالنعي التشهير بالميّت وبغضه والتشنيع عليه بما اقترف من ذنوب جسيمة وجرائم عظيمة مما أفضى به إلى إهلاكه و إبادته. وفي معناه ورد في اللغة: «و نَعَى عليه الشيءَ يَنْعَاه: قبَّحه و عابه عليه و وبَّخه. و نَعَى عليه ذُنوبه: ذَكرها له و شَهَره بها. و النَّاعِي: المشَنِّع».(ابن منظور، ج١٥: ٣٣٥) في الواقع قد يخالط هذا النوع من الرثاء هجاء لاذع لما فيه من شرّ العاقبة عند نهاية المصير. و في حديث عمر بن الخطاب:« إن الله تعالى نَعى على قوم شَهَواتِهم أَي عاب عليهم. و في حديث يقال: أَنْعَى عليه و نَعَى عليه شيئاً قبيحاً إذا قاله تَشْنِيعاً عليه».(ابن منظور، ج١٥: ٣٣٣) كما أنّ إمرؤ القيس:« كان من الشعراء الذين نَعَوْا على أَنفسهم بالفَواحش و أَظْهَرُوا التَّعَهُّر».(ابن منظور، ج١٥: ٣٣٣) إنّ المنهاج الذي سلكه القرآن الكريم في النعي المشنّع يختلف اختلافاً بيّناً عما دأب عليه عدد من الشعراء المتأثرين بالعقلية الجاهلية طيلة قرون، إذ أنّ النّعي المشنّع في أدب الوحي بخلاف ما كان عليه الأدب الجاهلي من إثارة الفتنة والتحريض على أخذ الثأر والقتال وتهييج العصبية القبليّة كان له أهداف مثبّطة عن استكبار المنكرين وأتباعهم. وإنذار شديد لأشياعهم أن يعودوا إلى مصيرهم من الضلال والغواية. إنّ الله تعالى نعى قوماً ظالمين كذبوا بالدين وانحرفوا عن اليقين فشملهم العذاب الأليم . فأخبر عن موتهم بالإهلاك في أكثر من موضع كما في قوله تعالى:« وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً »(مريم/٩٨) وقوله تعالى:« وَ كَمَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَ رِءْيًا»(مريم/٧٤)

وفي المرتبة الثانية (النعي المشيد):يقصد بالنعي الإشادة بالميّت وفضائله وإعلاء شخصيته ومقامه ، فإنه لا ينعاه إلا ليشيع له ذكره ويزيد من كرامته فيرسل إليه أماديحه تأبيناً له كما يقال في اللغة:« نَعَى فلان على فلان أَمراً إِذا أَشادَ به و أَذاعه».(الفراهيدي، ١٤١٤ق، ج١٥: ٣٣٣). ونعى الله قوماً صالحين مؤمنين نعياً موجّهاً معبراً عن ذلك بالقتل في سبيل الله ومشيراً إلى أنهم أحياء يعيشون حياة طيّبة مرزوقين كقوله تعالى:« وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»(آل عمران/١٦٩) وقوله تعالى:« وَ الَّذينَ هاجَرُوا في سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقينَ».(الحج/٥٨)

وفي المرتبة الثالثة(النعي المحايد): يريد الناعي بهذا الأسلوب الإخبار عن أغراض أخرى دون إعلاء شأن المخاطب وتفضيله والإشادة به ممّا رأيناه في النعي المشيد ومن غير التشهير به وتعييره ممّا لمسناه في النعي المشنّع وإنما يستهدف الناعي أحياناً إبانة فرائض وأحكام مما يخصّ المحتضر أو المتوفى وأهله كما في قوله تعالى:« كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقينَ». (البقرة/١٨٠) أو

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

يستهدف أغراض أخرى كالتذكير والإرشاد و التهويل و ما إلى ذلك ليكون النعي هادفاً مربيّاً ومذكراً لجماعة بشرية.أن لا تكتنفه الغفلة. كما في قوله تعالى:« ... فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ ...»(البقرة/٢٥٩) حيث تنكشف لنا هدفية النعي، وهي بيان قدرة الله على الإماتة والإحياء وتزويد الإنسان بالإيمان وترسيخ عقيدته في المعاد وكلها عبرة و وعظ وإرشاد إلى صلب الحقيقة كما يظهر ذلك بوضوح من سياق الآية بتأمّل بسيط فيها. و كقوله تعالى في نعي سليمان(ع) ليستدلّ بذلك على عدم إحاطة الجن بالأمور الغيبية :« فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ».(سبأ/١٤) فكما نلاحظ في تلكم الآيات المعتمدة على اساليب الرثاء أنّ المناعي المسترسلة فيها لم تأتِ عفويّة وإنما فيها أغراض منشودة حسب ما يقتضيه ظرف المخاطب.

ومنها تلك الأغراض التي ترمي إلى جهات سياسيّة وثقافية .فقد ورد عن أهل البيت(ع) أحاديث غير قليلة تدلّ على هذه المهمّة الجليّة في أنّ المنعى في المرثاة له دور بارز في جميع الظروف، خاصّة الظروف السياسيّة الحساسة الحاسمة بين كلّ مُعادٍ ومُوالٍ في الشؤون الإعلامية سواء ما كان في السّلم أو الحرب فكما جاء في الحديث:«يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا». (الحرّ العاملي، ١٤٠٩ق، ج١٠: ٣٩٧) قال سبحانه عزوجل:« إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ » (التوبة/٥٠) يظهر الفرح في شماتة العدوّ من خصمه. ويقول دعبل(١٤٨-٢٤٦هـ.ق) ما يقرب من هذا المعنى:

نعَوني ولما ينعَني غيرُ شامِتٍ

وغيرُ عدوٍّ قد أُصِيبَت مَقاتِلُه

يقولون إن ذاق الرّدىَ مات شعرُهُ

وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

(دعبل الخزاعي، ص١٤٧)

إنّ عداوة أهل البيت(ع) تقتضي الفرح لأعدائهم عند مصابهم وضرائهم والحزن لهم عند حسناتهم وسرائهم؛ وبالعكس إنّ محبة الرسول(ص) و أهل بيته(ع) تقتضي الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم كما يسشف هذا المعنى من مفهوم الآية.وكذلك صدق الله العليّ العظيم في قوله الحكيم:« إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ». (آل عمران/١٢٠) حيث أورثنا التاريخ صفحات سوداء من تلك الجرائم الخبيثة تصديقاً لكلام الوحي واعتباراً لذوي النفوس الطيبة. فمنه ما روي: «أنّ ابن هند كان جذلاناً مستبشراً بموت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قبل ولده الطاهر السبط، فبلغ الحسن عليه السلام وكتب إليه فيما كتب: قد بلغني أنك شمتّ بما لا يشمت به ذوو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

وقل للّذي يبقى خلاف الذي مضى

تجهّز لأخرى مثلها فكأن قد

وإنّا ومن قد مات منّا لكالّذي

يروح فيمسي في المبيت ليقتدي

(الأميني، ١٣٩٧ق، ج١١: ١٣-١٤)

واستعاد معاوية فرحته الفاقرة حين أبلغه عامل المدينة وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب(ع) وفيه قال ابن قتيبة: «فلمّا أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه»(الأميني، ١٣٩٧ق، ج١١: ١٢) ولما بلغ ذلك ابن عباس، دخل على معاوية وقال: « وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته ، أما والله ما سد جسده حفرتك،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

ولا زاد نقصان أجله في عمرك ، ولقد مات وهو خير منك .... ثم شهق ابن عباس وبكى». (المصدر نفسه).

وفي رواية أخرى أنّه:«لمّا بلغ نعي أمير المؤمنين (ع) إلى معاوية ، فرح فرحا شديداً وباكر نعيَه بالإشادة بشجاعته وبسالته قائلاً: إنّ الأسد الذي كان يفترش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه، ثم قال:

قل للأرانب ترعى أينما سرحت

وللظباء بلا خوف ولا وجل

وفي رواية الراغب عن شريك أنّه قال: والله لقد أتاه قتل أمير المؤمنين وكان متكئاً فاستوى جالسا ثم قال: يا جارية غنّيني، فاليوم قرّت عيني. فأنشأت تقول:

ألا أبلغ معاوية بن حرب

فلا قرّت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا

بخير الناس طرّاً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا

وأفضلهم ومن ركب السفينا

فرفع معاوية عموداً كان بين يديه فضرب رأسها ونثر دماغها»[٦] (الشيخ المحمودي، ج٨: ٥٠٧ — ٥٠٨)

وكذا في فرح عائشة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام وعدم تأسّفها، قال المفيد(٣٣٦ — ٤١٣هـ.ق) رحمه الله في الجمل ص ٨٣: «هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مرية في صحتها لاتفاق الرواة عليها ، أنّها لما قُتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء الناعي فنعى أهل المدينة، فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

فإن يك ناعيا فلقد نعاه

غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أبي سلمة: أ لِعليّ تقولين هذا ؟ !فتضاحكت، ثم قالت: أنسىَ، فإذا نسيتُ فذكّروني ثم خرّت ساجدة شكراً على ما بلغها من قتله، ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

هذا وقد روي عن مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاماً باسم عبد الرحمن ، قالت عبدي . قلت لها: فكيف سميته عبد الرحمن ؟ قالت: حبّاً لعبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي». (الكوراني العاملي، ج١: ٤٧١ — ٤٧٢) وهذا كله مجاهرة بعداوة أمير المؤمنين، وإظهار فرح وسرور لما فيه من تأويل الآية الشريفة.

النعي في أدب الشعر

للمنعى صَديً واسع في أدب المرثاة الشعري خاصّةً في الأدب الإسلامي لظروفه الخاصة وأهمّيّته البالغة فلهذا ندرس الأمر ههنا في قسمين آخرين : نعي النفس ، نعي الغير

١.نعي النفس

قد رثى الكثير من الشعراء والأدباء أنفسهم قبل أن يبلغهم أجلهم وغالبية ذلك كان حين الإشراف على الموت واليأس من الحياة، ولكنّ منهم من توقّعوا حلول المنيّة فيهم إنباءاً عن الغيب لهم منذ شهور أو سنين. وذلك قليل ونادر في رثاء النفس بين الرثائيين نحو ما رثى علي بن ابي طالب(ع) نفسه عندما سئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى:« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْديلاً ». (الأحزاب/٢٣) فقال: «اللهم غفراً [٧] هذه الآية نَزَلت فيَّ وفي عمّي حمزةَ وفي ابن عمّي عُبَيدَةَ بنِ الحرث بن عبد المطَّلِب، فأمّا عُبيدةُ فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يَخضِب هذه من هذه – وأشار

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

إلى لحيته ورأسه – عَهدٌ عَهِدَهُ إليَّ حبيبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله»(الشيخ الأميني، ١٣٩٧ق، ج٢: ٥١ – ٥٢) و نحو ما رثى نفسه(ع) بتمثله ببيت لعمرو بن معدي كرب في حديث له مع ابن ملجم المرادي–لعنه الله–:

أريد حباءه ويريد قتلي

عذيرك من خليلك من مراد

(الشيخ المفيد، ١٩٩٣م، ج١: ١٢ – ١٣)

ومثل ذلك عندما نعى نفسه(ع) في الليلة التي قتل في صبيحتها. وهو يقول : «والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت بها». ثم يعاود مضجعه ، فلما طلع الفجر شدّ إزاره وخرج وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت

إذا حلّ بواديكا

فلما خرج إلى صحن الدار استقبلته الإوز فصحن في وجهه، فجعلوا يطردونهن فقال: « دعوهن فإنهن نوائح، ثمّ خرج فأصيب عليه السلام».(الشيخ المفيد، ١٩٩٣م، ج١: ١٦) وقد ذكر عنه(ع) استعداده من غير مرّة للقاء المحبوب واحتضان المنيّة. قال أمير المؤمنين (ع): «والله لابنُ أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امّه».(المجلسي، ج٢٨: ٢٣٤ والإمام علي، شرح عبده، ج١: ٤١)

ونحو ما نعى الإمام الرضا (ع) نفسه في تائية دعبل ولا يعلم بذلك أحد غير الله، وذاك لما انتهى دعبل إلى قوله :

وقبر ببغداد لنفس زكيّة

تضمّنها الرحمن في الغرفات

(دعبل الخزاعي، ١٤١٧ق، ص٦١)

فقال الإمام الرضا (ع): أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟فقال: بلى يا بن رسول الله فقال (ع):

وقبر بطوس يا لها من مصيبة

ألحّت على الأحشاء بالزفرات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً

يفرج عنا الهمّ والكربات

(المجلسي، ج٤٩: ٣٤٨)

وفي ليلة عاشوراء نعى الحسين بن علي(ع) نفسه بإعادة كلمات موحية بتحتّم موته. وفي اللهوف:« ثم أنّه نزل عن فرسه، وجلس الحسين(ع) يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أفّ لك من خليل

كم لك بالإشراق والأصيل

من طالب وصاحب قتيل

والدهر لا يقنع بالبديل

وكلّ حيّ فإلى سبيل

ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل

وقال الراوي: فسمعت زينب بنت فاطمة(ع) ذلك فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل. فقال(ع): نعم يا أختاه. فقالت زينب: واثكلاه ينعى الحسين(ع) نفسه؟» (السيد ابن طاووس، ١٤١٧ق، ص٤٩)

إنه لا يحلو تمنّي الموت ولا يستسيغها إلا من عمل صالحاً بعد إيمانه بالله واليوم الآخر وكان من الصادقين. وعبد الله بن رواحة الشاعر(المتوفّى ٥٦ أو٦٨هـ.ق) يبوح في شعره بتمنّيه الموت أي الشهادة في سبيل الله فيفوز بها :

يا نفس إن لا تُقتَلِي تموتي

هذا حِمامُ الموت قد لقِيتِ

وما تمنَّيتِ فقد أُعطِيتِ

إن تفعلي فعلَهما هُدِيتِ

وإن تأخرت فقد شقيت

(الذهبي، ١٤١٣ق، ج١: ٢٤٠)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

وذُكر في صفة قتله في غزوة مؤتة – وكان ثالث الأمراء بها استشهد في جمادى الأولى سنة ثمان (ابن حجر، ١٤١٥ق، ج١: ٤٩٢) – أنّه :«كان زيد بن أرقم يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة فخرج معه إلى سرية مؤتة فسمعه في الليل يقول {مخاطباً ناقته}:

إذا أدنَيتِني وحملتِ رحلي

مسيرةَ أربعٍ بعدَ الحَساءِ[٨]

فشأنُكِ فانعِمِي وخلاكِ ذمٌّ

ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وجاء المؤمنون وخلّفوني

بأرض الشام مشهور الثواء

فبكى زيد فخفقه بالدرة فقال ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل.»(ابن حجر، ١٤١٥ق، ج٤: ٧٤)

وفي استقبال الموت ورثاء النفس لا شك أن المحبّين على تفاوت مراتبهم وإختلاف مقاماتهم ودرجاتهم يبتهجون وينشرحون وينبسطون للقاء المحبوب ويحزنون ويكتئبون ويتألمون للحرمان منه، لا سيما أولياء الله المشتاقين إلى إدراك الفيوضات الرحمانيّة اللامتناهية النازلة من الذات المقدّسة، بحيث لولم تكن آجالهم مقدّرة لما استقرت أرواحهم في أبدانهم. وطالما تمنّاه أصحاب الرسول(ص) وشيعته قبل استشهادهم حيث رثَوا أنفسهم على أمل التوصل إلى هذه البغية المباركة كما قال أمير المؤمنين (ع) في خطبة المتقين :«ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب» (الإمام علي (ع)، شرح عبده، ج٢: ١٦١)

وأمّا الظالمون فإنّهم يخافون أن يتمنّونه لما اقترفت أيديهم من الذنوب كما وعد بذلك سبحانه وتعالى في قوله الكريم :« وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِم ...»(الجمعة/٧)

وقال تعالى:« قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ»(الجمعة/٦) فهي كانت مباهلة باهل بها الرسول (ص) اليهود فنكلوا عنها خوف نكال الموت الذي بعده العذاب، و لم يقبلوا التحدي فيها، كما نكل نصارى نجران.

وهناك شعراء – وليس عددهم قليل – قاموا برثاء أنفسهم على الإطلاق أو عند إشرافهم على الموت ويقينهم به فتنافسوا في حلبة الرثاء و تنادوا فيها بالموت والحِكم الجبّارة فيه وأتقنوا وأجادوا فخلّدت مشاعرهم وأحاسيسهم المرهفة أشعارهم الموجّهة التي سجّلت في صفحات التاريخ فخلّفوا لأبنائهم تراثاً أدبيّاً قيّماً ليتأدّبوا به ويتذكروا لو كانوا من المتذكرين. فمن جرّاء ذلك ذكروا أنّه أول من ذمّ الدنيا وبكى على نفسه وذكر الموت في شعره هو يزيد بنُ حذاق[٩] في قوله:

هل للفتى من بناتِ الدّهرِ من واقِ

أم هل له من حمام الموت من راق

(الزركلي،١٨٢/٨)

ثمّ يذكر موته ودفنه بأيدي خيار قومه حسباً وتقسيم أمواله من طريف وتالد بين الورّاث وإعلان ناعيه خبر موته. ولمالك بن الريب التميمي(المتوفّى نحو٦٠هـ.ق) قصيدة رائعة في هذا المجال. يقال أنّه كان قد خرج مع سعيد بن عفان لما ولّي خراسان. فلمّا كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه ، فإذا بأفعى في داخلها فلسعته ، فلما أحس الموتَ استلقى على قفاه ثمّ أنشأ يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً

بجنبِ القضى أزجي القلاصَ النواجيا

(البغدادي، ١٩٩٨م، ج٢: ١٨١)

ويذكر موته غريباً وبعيداً عن الوطن والديار والأهل بحيث لا يرى باكياً له سوى سيفه ورمحه.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

وأبوفراس الشاعرالشيعي بعهد الحمدانيين هو الآخر ينعى نفسه في لئآلٍ من شعره ويلمّح فيه إلى تلك البشرى في الرؤيا الصادقة التي رأتها أمّه من قبل وقد نعته إلى نفسه باستشهاده وقال أبوفراس(٣٢٠ – ٣٥٧هـ.ق) في ذلك:

وقد عِلِمَت أمّي بأنَّ مِنِيَّتي

بحدِّ سنانٍ أو بِحدِّ قَضيبِ

كما علمت من قبل أن يغرق ابنها

بمَهلَكِهِ في الماء أمُّ شبيبِ

(أبو فراس الحمداني، ١٤١٧ق، ص٥٤)

وقد توقّع أبوفراس في رثائه لأمّه بعد عودته من الأسر بأنّه سيوافيه أجله بقتله ويقول:

أيا أمّاه كم سرٍّ مصُونٍ

بقلبكَ مات ليس له ظهورُ

أيأُ أمّاه كم بُشرى بِقُربِي

أتَتك ودونَها الأجلُ القصيرُ

نسلّي عنك أنّا عن قليلٍ

إلى ما صِرتِ في الأخرى نَصيرُ

(المصدر نفسه، ص ١٦٢)

فالرثاء على ما سبق تفصيله في نعي النفس لا يقتصر على الزمن الغابر وإنّما تأتي من المراثي ما تتناول المستقبل ولا تخالطها قيود دالّة على الماضي رغم ما ذهب إليه ابن رشيق في تحديده بالزمن الغابر عندما قال: «أنّه يخلط بالرثاء شيء يدل على أنّ المقصود به ميت، مثل «كان» ، أو «عدمنا به كيت وكيت» وما يشاكل هذا ليعلم أنّه ميّت.» (ابن رشيق القيرواني، ١٤٠١ق، ١٤٧/٢)، و مثل هذه المراثي التي تتناول المستقبل غير قليلة لدى الشعراء القدماء والمحدثين، وجرى ذلك كثيراً على ألسنتهم في رثاء انفسهم مثل ابي نواس وابي العتاهية والمعتمد بن العباد وابي القاسم الشابي ، وبعضهم كان يوصي أن يكتب بعض رثاءه على شاهدة قبره كالمعتمد وابي العتاهية(المتوفّى٢١١هـ.ق) الذي أوصى بأن تكتب هذه الأبيات على قبره:

أذن حي تسمَّعي

اسمعي ثم عي وعي

انا رهن بمضجعي

فاحذري مثل مصرعي

عشت تسعين حجة

ثم وافيت مضجعي

ليس شيء سوى التقى

فخذي منهُ او دعي

(أبو العتاهية، ٢٠٠٤م، ص٢٢٦)

٢ . نعي الغير

ومن المراثي من ينعى غير نفسه إنباءاً عن الغيب تحذيراً أو إرشاداً له ولمن يعيه. وقد يكون الرثاء عامّاً يشتمل على كلّ ذي نفس ناطقة من دون تحديد أسباب الموت أو تحديد العهد الذي يحين فيه الأجل والله سبحانه وتعالى هو أوّل من رثى الإنسان على الإطلاق في مواضع من كتابه الكريم لدواعٍ عدة .فمن قوله الكريم:«كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ».(العنكبوت/٥٧) وقوله الكريم:«أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ في بُرُوجٍ مُشَيَّدَة».(النساء/٧٨) وخُصَّ النّبي(ص) بالنعي في قوله الكريم« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»(الزمر/٣٠) كما أنّ النبيّ(ص) نعى أهل بيته وبكى عليهم في عهد رسالته وهكذا الأئمة المعصومين عليهم السلام نعى بعضهم البعض حيث يبدو من ذلك أنّ النعي ليس أمراً اعتياديّاً ليتمكن الغافل من التجاهل عنه وإنّما له من الأهميّة البالغة وفيها العديد من الفوائد الثقافية والسياسية الفاعلة. والأمر تجلو فاعليّته البارزة عندما نلتقي بمناعٍ مسترسلة غيبيّة يحدّث بها هادي الهداة رسول الله (ص) وحماة

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الدين من الأئمة المعصومين(ع) عبرة وتذكرة لجيلهم وأجيالهم القادمة طيّ القرون.

ومن هذه المناعي عن ظهر الغيب قول الرسول(ص)في زيد بن علي(ع)(٧٩- ١٢٢هـ.ق): «إنّه يخرج ويُقتَلُ بالكوفة، ويُصلَب بالكناسة، يُخرج من قبره نبشاً، ولروحه أبواب السماء، وتبتهج به أهل السماوات والأرض». (الأميني، ١٣٩٧ق، ج٣: ١٠٦). وقول أمير المؤمنين(ع) وقد وقف على موضع صلبه بالكوفة، فبكى وبكى أصحابه، فقالوا: ما الذي أبكاك؟ قال: إنّ رجلاً من ولدي يُصلب في هذا الموضع، من رضِي أن ينظر إلى عورته كبّه الله على وجهه في النار». (المصدر نفسه) وقد رثاه شعراء من الشيعة مثل الكميت، سدِيف بن ميمون، أبو محمد العبدي الكوفي، السيد الحميري، والفضل بن عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (المتوفى ١٢٩هـ. ق)، أبو ثميلة صالح بن ذبيان الراوي عن زيد، والوزير الصاحب بن عباد، والشيخ صالح الكواز الحلي، والشيخ يعقوب النجفي (المتوفى ١٣٢٩هـ.ق) وغيرهم ممّن ذكر من أشعارهم العلامة الأميني في غديره في باب«زيد الشهيد والشيعة الإمامية الإثناعشرية».(الأميني، ١٣٩٧ق، ج٣: ١٠٨ — ١١٤).فللكميت(٦٠ — ١٢٠هـ.ق) في زيد:

يعزّ على أحمد بالذي

أصاب ابنَه أمسِ من يوسفِ

خبيثٌ من العصبة الأخبثينَ

وإن قلتُ زانين لم أقذِفِ[١٠]

والسيد الحميرى(١٠٥ — ١٧٣هـ.ق) قام بنعيه وكيفية قتله وذكر قاتليه ولعنهم في رثائه له -كما في تاريخ الطبري - وقال:

بت ليلي مسهَّداً

ساهرَ الطرف مقصدا

ولقد قلت قولة

وأطلت التبلّدا

لعن الله حَوشَباً

وخُراشاً ومزيدا

ويـــــــزيداً فإنّه

كان أعتى وأعندا

ألف ألف وألف ألْ

ـفٍ من اللعن سرمدا

إنهم حاربوا الـ

ـإله وآذوا محمدا

شركوا في دم المطهّـ

ـرزيد تعندا

ثم عالوه فوق جذ

ـع صريعا مجردا

يا خراش بن حوشب[١١]

أنت أشقى الورى غدا

(الطبري، ١٤٠٧ق، ٤:٢١٠)

هذا و نُعِيَ ابنُه يحيى جرياً على لسان ابن عمّه جعفر بن محمد الصادق(ع):« ... إنّك تُقتَلُ وتُصلبُ كما قتِلَ أبوك وصلِبَ...»(الإمام زين العابدين (ع)، ١٤١١ق، تحقيق: الابطحي، ص٦١٨)

ونَعى علي (ع)استشهاد الحسين وأصحاب الحسين (ع) عندما مرّ بكربلاء في اثنين من أصحابه قائلاً:« هذا مناخ ركابهم ، وهذا ملقى رحالهم ، وها هنا تهراق دماؤهم . طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة»(المجلسي، ج٤١: ٢٩٥؛ وج٤٤: ٢٥٨). ورثاه في المحراب وهو مطروح مشقوق الرأس (الموسوي المستنبط، ١٣٨١ق، ج١: ٣٤) ورثاه في المدينة والكوفة وغيرهما على المنبر و في المسجد لمناسبات مختلفة ويذكر حالاته نظماً ونثراً فيبكي. وفي بعضها:

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

كأني بنفسي و أعقابها

و بالكربلاء و محرابها

فتخضب منها اللحى بالدماء

خضاب العروس بأثوابها

ومن ذلك ما روي في أنّ الإمام موسى بن جعفر (ع) أُنهي إليه الخبر بأن موسى بن المهدي الخليفة العباسي حلف بقتله ، وعنده جماعة من أهل بيته، فقال لهم، ماتشيرون؟ قالوا نشير عليك بالإبتعاد عن هذا الرجل وأن تغيّب شخصك عنه فإنّه لا يؤمَن شرّه ، فتبسّم ابو الحسن (ع) متمثلا:

زعمت سخينة ان ستقتُلَ ربَّها

وليغلبن مغلّب الغلاب

ثم أنشد[١٢]:

زعم الفرزدق أن سيقتل مِربعا

أبشر بطول سلامة يا مربَع

وبعدما رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه بكلمات أقبل على أصحابه فقال لهم :« يفرخ روعكم[١٣] فإنه لا يأتي أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن المهدي، قالوا: وما ذاك أصلحك الله ؟ قال وحرمة صاحب القبر قد مات من يومه هذا والله «إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» (الذاريات / ٢٣).ثم تفرّق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتب الواردة بموت موسى بن المهدي». (المجلسي، ج٤١: ٢١٧) فالإمام الكاظم (ع) بدلاً من أن ينعى نفسه أو يحتمل أنّه قد حان أجله، أخبر بموت الخليفة العباسي ونعاه عن ظهر الغيب. وقد نعى الإمام الحجّة آخر نوابه قبل ستة أيّام من عمره في توقيع أخرجه السمري (المتوفّى٣٢٩هـ.ق) إلى الناس «بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمّد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيّام ، فاجمع أمرك ... إلى آخر الحديث» (الشيخ الطوسي، ص٣٩٥) وحسبنا ما ألمعنا إليه وإلاّ هذا المجال متّسع للإسهاب فيه.

وأمّا ما يجدر بنا ملاحظته هو أن هذه المراثي المنطلقة من الإيمان بالغيب والمتحتّم وقوعها من دون ظهور آثار الموت وملامحه، تتفاوت عن المراثي الأخرى لبقيّة الشعراء الذين لا يقومون برثاء النفس إلا عند إشرافهم على الموت المتحتّم وتَبدِّي علائمه من خلال مرض يصابون به لا علاج فيه، أو يقدمون على رثاء النفس رجماً بالغيب، لا عن حقيقة واقعية متصلة بالوحي والشعور الذاتي. أليس الشاعر المعاصر سامي البارودي لم يرث نفسه إلا حين اقترب من الموت وبرزت معالمه ويئس كل اليأس من الحياة في النفي من بعد ما أورثه السقام والعلل ، فكفّ بصره وضعف سمعه، و وهن جسمه، وفقَدَ أحبّائه ونعاهم في رثائه لنفسه فقال حينئذٍ من قصيدة رائعة مطلعها:

أين أيام لذّتي وشبابي

أتراها تعودُ بعد الذهابِ

ثمّ يستمرّ إلى أن يقول:

كيف لاأندُبُ الشبابَ؟ وقد أصـ

ـبحتُ كهلاً في مِحنةٍ واغترابِ

أخلَق الشيبُ جِدَّتي وكساني

خِلعةً منه رثَّةَ الجلباب

كلّما رُمتُ نهضةً أقعَدتني

وَنيةٌ لا تُقِلُّها أعصابي

لم تَدَع صَولةُ الحوادثِ منّي

غيرَ أشلاء همّةٍ في ثيابِ

(البارودي، ص٦٦-٦٨)

نتائج البحث

يمكن أن نلخّص المباحث المطروحة في النقاط التالية:

- المنعى من العناصر المهمّة في الرثاء، له أثر ثقافيّ سياسيّ في المجتمع الأدبي، مع أنّه لم يكن موضع اهتمام لدى الأدباء والناقدين.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

– يشيع في المنعى، بثّ الهموم والخواطر عند الإحتضار، وتعظم المصيبة عند الناعي كما أنّ المخاطب قد يتلقّى في النعي مشاعر وأحاسيس يعبّر بها الناعي عنها في كيفية تشييع المرثيّ وظروف تكفينه أو أمور تتعلّق بتدفينه و ما شابه ذلك مما يخصّ المتوفّى بهذا الصدد.

– للمنعي في الوحي المنزل مراتب ثلاثة وهي التشنيع، والإشادة وأغراض أخرى كالتذكير والتعليم والتهويل وما إلى ذلك.

– ربّما ينعى الناعي نفسه حين ظهور آثار الموت عنده، أو ينعى نفسه علماً بالغيب بإذن الله وهذا دأب الصالحين من عباده. وقد ينعى غيره ممّن ماتوا أو قتلوا برثاء رقيق مفجع أو برثاء ساخر هاجٍ. وقد يتوقّع موت غيره بسنين فينعاه على ذلك بشارة أو تحذيراً له.

– للمنعى فوائد جمّة تربوية وسياسية تجلو فاعليّتها البارزة في المناعي الغيبيّة المسترسلة التي جاء بها الوحى المنزل أو حدّث بها النبي(ص) والأئمّة المعصومين(ع) في هداية العباد وتشجيعهم على الصمود والجهاد والتنديد بالظالمين والتضامن مع المظلومين، وأخذهم العبرة طيلة القرون واجتناب تحريض العصبية الجاهلية و ... .

الهوامش

١. والتعزية :هي تفعلة من العزاء أي الصبر عن كل ما يفقده الإنسان من قريب أو صديق و إنما يتسع نطاقه إلى ما يضيعه الإنسان من كل شيء يألفه مثل القوة والجاه والمال. وقال الشهيد الأوّل في تعريفه:« يقال: عزيته فتعزى، أي صبرته فتصبر. والمراد بها طلب التسلي عن المصاب، والتصبر عن الحزن والإكتئاب ، بإسناد الأمر إلى الله عز وجل ونسبته إلى عدله وحكمته، وذكر لقاء وعد الله على الصبر مع الدعاء للميت والمصاب لتسليته عن مصيبته» (الشهيد الأول،١٤١٩ق، ٢/ ٤٣)

٢. راجع: شوقي ضيف، الرثاء، ص٨-٩

٣. الندب:« إذا بكى الشاعر الميّت وتفجع عليه كان نادباً» (ابو ملحم، ١٩٧٠م، ص٨٣)

٤. لم نجد في المصادر التي كانت بين أيدينا تعريفاً اصطلاحيّاً للمنعى والذي قدّمناه هنا هو تعريف أخرجه الكاتب وفقاً على دراسته في موضوع البحث.

٥. الظُّلامةُ:« ما تُظْلَمُهُ، و هي المِظْلِمَة» .وهي« اسْمُ مَظْلِمتِك التي تَطْلُبها عند الظَّالم يقال: أَخَذَها مِنه ظُلامةً».(ابن منظور،ج ١٢: ٣٧٥)

٦. قال العلامة الأميني مدّ ظله: هذه القضية ذكرها الراغب في محاضراته المخطوطة الموجودة – وهكذا نقلت عنها في تشييد المطاعن: ج ٢: ٤٠٩ – غير أن يد الطبع الأمينة حرفتها من الكتاب مع أحاديث ترجع إلى معاوية، راجع ج ٢ : ٢١٤ من المحاضرات، وقابلها بالمخطوطة منها.« الشيخ الأميني ،١٣٩٧ق، ج١١: ٧٩»

٧. أي: اللّهم اغفر. يقال: «اللهمَّ اغفر لنا مَغْفرة و غَفْراً و غُفْراناً، و إنك أَنت الغَفُور الغَفّار يا أَهل المِغْفِرة.»(ابن منظور، ج٥: ٢٥)

٨. والحساء: مياه لبني فزارة بين الربذة ونخل يقال لمكانها ذو حساء، والحساء جمع حسي وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخرا ، فإذا بحث عنه وجد. .«الحموي، ١٣٩٩ق، ج٢: ٢٥٧».

٩. يزيد بن خذاق الشني العبدي ، من بني عبد القيس: شاعر جاهلي . كان معاصراً لعمرو بن هند ... قال أبو عمرو بن العلاء : هي أول شعر قيل في ذم الدنيا.(راجع: الزركلي، ١٨٢/٨)

١٠. يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق ، وهو قاتل زيد.«الأميني، ج٣: ١٠٨»أقول: أننا لم نعثر

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

على البيتين في ديوانه وذكره العلامة الأميني نقلاً عن تكملة الرجال للعلامة الكاظمي، ٤٢١/١

١١. يقال: إن خراش بن حوشب هو الذي أخرج جسد زيد الشهيد من مدفنه الشريف.

١٢. سخينة : لقب قريش ، لأنها كانت تعاب بكثرة أكل السخينة ؛ والسخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن. يريد (ع) بانشاده أنّه محفوظ من غوائل الفتك في هذه المرّة باذن الله ، وحلف موسي بن المهدي لقتله كحلف الفرزدق بأن يقتل المربع. راوية جرير واسمه وعوعة وهذا البيت من المثل السائر يضرب لخيبة الغائل الفاتك وأنه كما سيق من قصيدة جرير العينية.

١٣. يقال: لِيُفْرِخْ رَوْعُكَ أَي ليخرج عنك فَزَعُك كما يخرج الفرخ عن البيضة و أَفْرِخْ رَوْعَك يا فلان أَي سَكِّنْ جأْشَك.» وقال الأَزهري، أَبو عبيد أَنّه: « من أَمثالهم المنتشرة في كشف الكرب عند المخاوف عن الجبان قولهم: أَفْرِخْ رَوْعَك يقول: لِيَذْهَبْ رُعْبُك و فَزَعك فإن الأَمر ليس على ما تحاذر.»(ابن منظور، ج٣: ٤٣)

المصادر

[١] القرآن الكريم.

[٢] ابو ملحم، علي،(١٩٧٠م)، في الأدب وفنونه، بيروت – لبنان، المطبعة العصرية للطباعة والنشر.

[٣] الإمام علي (ع)،(١٤١٢ق، الأولى)، نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، -٢ج، قم – ايران، دار الذخائر.

[٤] الإمام زين العابدين (ع)، (١٤١١)، الصحيفة السجادية (ابطحي)، تحقيق : السيد محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني، ط ١، قم، مؤسسة الإمام المهدي (ع) و مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر.

[٥] الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: تحقيق وتخريج حسن الأمين، ١٠ج، بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.

[٦] الاميني؛ الشيخ عبد الحسين الاميني، (١٣٩٧ق، الطبعة الرابعة)، الغدير، ١٢ج، بيروت، دارالكتاب العربي.

[٧] ابن حجر، (١٤١٥ق)، الإصابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ٣ج، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

[٨] ابن حجر(١٤١٥ق)، تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، لا مكان.

[٩] ابن رشيق القيرواني الأزدي، ابي علي الحسن(م٤٥٦ق)، (١٤٠١ ق – ١٩٨١م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ، ٢ج، ط ٥، بيروت – لبنان، دار الجيل.

[١٠] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لا تا، لسان العرب، ١٥ج، ط ١، بيروت، دارالصادر.

[١١] أبو العتاهية(٢٠٠٤م)، ديوان أبي العتاهية، قدم له وشرحه ووضع فهارسه:صلاح الدين الهواري، ط ١، بيروت – لبنان، دار ومكتبة الهلال.

[١٢] أبو فراس الحمداني(١٤١٧ق – ١٩٩٦م)، ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: خليل الدويهي، ط ٣، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي.

[١٣] البارودي، محمود باشا سامي (١٩٩٨م)، ديوان البارودي، حققه وضبطه وشرحه: علي الجارم، محمد شفيق معروف، ط ١، بيروت – لبنان، دار العودة.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[١٤] البغدادي، (١٩٩٨م)، خزانة الأدب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

[١٥] الحرالعاملي؛ شيخ محمد بن حسن، (١٤٠٩ق)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،٢٩ج، ط ١، قم، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث.

[١٦] الحموي (١٣٩٩ - ١٩٧٩ م) معجم البلدان، ٢ج، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي.

[١٧] دعبل الخزاعي(١٤١٧ق – ١٩٩٧م)، ديوان دعبل الخزاعي، شرحه وضبطه وقدّم له: ضياء حسين الأعلمي، ط ١، بيروت – لبنان، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات.

[١٨] الذهبي، (١٤١٣ - ١٩٩٣م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: اشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، ط ٩، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة.

[١٩] الزركلي، خير الدين(١٩٨٠م)، الأعلام، ٨ج، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين.

[٢٠] السيد ابن طاووس، (١٤١٧ق)، اللهوف في قتلى الطفوف، ط ١، قم – إيران، أنوار الهدى.

[٢١] الشهيد الأوّل (محرم ١٤١٩)، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ط ١، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

[٢٢] الشيخ الطوسي، (شعبان ١٤١١ق)، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح مؤسسة، ط ١، قم المقدسة، المعارف الإسلامية.

[٢٣] الشيخ المحمودي، (١٣٨٥-١٩٦٥م)، نهج السعادة، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ط ١، بيروت، مؤسسة التضامن الفكري.

[٢٤] الشيخ المفيد، (١٤١٤ - ١٩٩٣م)، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط ٢، بيروت – لبنان، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

[٢٥] ضيف شوقي ، الرثاء، ط ٢، القاهرة – مصر، دار المعارف.

[٢٦] الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر،(١٤٠٧ق)، تاريخ الأمم والملوك،٥ج، ط ١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

[٢٧] الفراهيدي، خليل بن أحمد،.(١٤١٤ق)، كتاب العين، ط ١، ٨ج، مؤسسة النشر الاسلامي.

[٢٨] قدامة بن جعفر، ابو الفرج (١٣٠٢ ق)، نقد الشعر، ط ١، قسطنطينية، مطبعة الجوائب.

[٢٩] الكوراني العاملي، الشيخ علي، (١٤٢٥ - ٢٠٠٤م)، جواهر التاريخ، ط ١، قم، دار الهدى للطباعة والنشر.

[٣٠] المبرد، التعازي والمراثي، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com

[٣١] المتنبي(١٤٠٧ق – ١٩٨٦م)، شرح ديوان المتنبي،٤أجزاء في مجلدين، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ط ٢، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي.

[٣٢] محمد علي الخطيب، بشرى، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام.

[٣٣] المجلسي؛ محمد باقربن محمدتقي بن مقصود علي مجلسي،(١٤٠٤ق). بحار الأنوار ، ١١٠ج، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان.

[٣٤] المقرم، عبدالرزاق الموسوي، (١٤١٤-١٣٧٢ش)، مقتل الحسين(ع): أو حديث كربلاء. ط ١، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[٣٥] الموسوي المستنبط، السيد أحمد، (١٣٨١ق-١٩٦١م)، الزيارة والبشارة والرثاء والأسى، ٢ج، ط ١، مطبعة الغري الحديثة في النجف.

[٣٦] النابغة الذبياني(١٤١٦ق – ١٩٩٦م)، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: الحتّي، ط ٢، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

بررسی «نعی» (خبر رسانی مرگ) در مرثیه اسلامی

سید حیدر شیرازي[1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۷/۱٤ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/٤/۲۸

یکی از مهم‌ترین عناصر فن مرثیه، عنصر «نعی» یعنی اعلان فوت(خبر رسانی مرگ) افراد است که در وحی الهی وادبیات منظوم، از اهمیّت ویژه‌ای برخوردار است و نظر به اینکه موضوع «نعی»به طور مستقل در نزد ناقدان مورد بررسی قرار نگرفته، لذا از نظر اصطلاح، تعریف جدیدی برای آن ارائه شده است تا محدوده ادبی «نعی»در فن رثاء نسبت به عناصر دیگر آن یعنی (ندبه: بیان اندوه ومویه سرائی؛ تأبین: مدح وستایش متوفّی، تعزیه: ابراز همدردی وعرض تسلیت به صاحب مصیبت) بیشتر تبیین گردد. در بخشی دیگری از این گفتار به دلیل مشابهت‌هایی که بین نعی گزنده در فن مرثیه و فن هجاء از نظر مضمون، وجود دارد، به بیان مرز تفاوت بین این دو فن از فنون شعری پرداخته شده‌است. همچنین در یک بررسی موضوعی از قرآن کریم، و تقسیم‌بندی کلی، «نعی» به سه دسته نعی تقبیح کننده، نعی ستایش کننده، و نعی بی‌طرفانه تقسیم شده، و برای هریک، نمونه‌هایی از کتاب خدا بیان گردیده، وبه برخی از نکات مثبت تربیتی واخلاقی آن نیز اشاره شده است.

در بخش دیگری از این گفتار، «نعی» در ادبیات منظوم اسلامی، به دو نوع تقسیم شده است که عبارتند از: خبر رسانی از مرگ خود، خبر رسانی ازمرگ دیگران. که در هر یک از این اینها خبر رسانی به دو گونه مطرح شده‌است: برخی، از سالها پیش با علم غیب(یقین) از مرگ خود ویا دیگران مرثیه می گویند که این ویژه بندگان صالح خداوند است و برخی هنگام فرارسیدن مرگ و ظهور آثار ونشانه های حتمی آن، به خبر رسانی از مرگ در مرثیه می‌پردازند مانند بسیاری از شاعرانی که برای خویش مرثیه سرائی کرده‌اند، وبرای آن نمونه‌هایی از اشعار شاعران متعهد ذکر شده‌است.

کلید واژگان: نعی(خبر رسانی مرگ)، مرثیه، ادبیات، شعر عربی

[1]. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس، بوشهر